

سادسا: منافع السعي بين الصفا والمروة

ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس قصة شرعية هذا السعي، وهو أن إبراهيم -عليه السلام- لما ولد له إسماعيل من جاريته هاجر التي هي أم إسماعيل، وقد كانت أمة وكانت قد وهبها ملك مصر لزوجه سارة فوهبتها لإبراهيم فولدت له إسماعيل -عليه السلام- فلما أن ولدت إسماعيل غارت سارة امرأة إبراهيم منها، فقالت: أبعدها عني، فجاء بها حتى أنزلها عند البيت ولما تركها، ترك عندها جراب ماء، وجعلت تشرب منه، فلما أن نفذ عطشنت، فذهبت تطلب من يُعِينها، فعند ذلك صعدت على الصفا ونظرت، فلم تر شيئا، ثم سعت حتى وصلت إلى المروة ثم رجعت من المروة إلى الصفا حتى كملت سبعة أشواط. وبعد ذلك -بعدها أكملت سبعة الأشواط- جاءها الملك فبحث بعقبه فنبع ماء زمزم من آثاره، فقال لها: (لا تخافي، فإن هاهنا بيت الله تعالى يبينه هذا الغلام وأبوه). قال النبي -صلى الله عليه وسلم- { فلذلك سعى الناس بينهما } صحيح البخاري (3364). . ولا شك أن الصفا والمروة من شعائر الله، كما بين الله تعالى ذلك فقال: { إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } . كما أن الله سمى مزدلفة المشعر الحرام في قوله تعالى: { فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ } وسمى جميع المناسك شعائر في قوله: { وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } وشعائر الله هي العلامات التي أمر بتعظيمها. ونحن إذا سعينا بين هذين المشعرين - الصفا والمروة - فإننا نعبد الله تعالى ونعظمه؛ فلأجل ذلك فإن الذي يسعى أول ما يبدأ به ذكر الله تعالى، ثم بالتكبير، ثم بالتهليل، ثم بالتحميد، ثم بالتعظيم، ثم بقراءة القرآن: { إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } ثم بعد ذلك يبدأ في السير متوجها إلى المروة يسير أو يسعى، كل ذلك لا شك أنه عبادة وقربى، وكله ذكر لله. وهكذا المشاعر كلها ذكر لله سبحانه وتعالى، روي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (إنما جعل الطواف بالبيت، وبالصفا والمروة ورمي الجمار؛ لإقامة ذكر الله) أخرجه أحمد في "المسند" 6/64، وأبو داود (1888) من حديث عائشة رضي الله عنها. . أي أنها كلها تذكّر بالله، وتبعث على ذكر الله سبحانه وتعالى، فالذين يطوفون في حالة طوافهم يذكرون الله، والذين يسعون في حالة سعيهم يذكرون الله، ولا يذكرون غيره، ولا ييغون سواه، ولا يصترعون إلى غيره. ولا شك أن ذلك كله يؤكد أن هذه المشاعر أو هذه المناسك شرعت لإقامة ذكر الله، ولتجديد عبادة الله سبحانه وتعالى، ولترسيخ أصل العبادة في القلب؛ حتى يحب العبادة محبة راسخة، ومحبة ثابتة لا تتزعزع، وحتى يثبت على عبادة الله بقیة حياته، ويرجع إلى بلاده وقد تأثر بهذه العبادة؛ فهذا هو السبب في شرعية هذه العبادة، وشرعية جميع العبادات.